بيت العيلة

تم اليوم زفاف كريم وسارة بعد قصة حب دامت لسبع سنوات، عارض الأهل فيها زواجهم كثيرا فهم زملاء دراسة. ومنذ السنة الأولى لهما بالجامعة وكريم يتقدم إليها رسمياً لكن والدها يتعذر منه بسبب صغر سنه لكن مع اصراره والتحاقه بالجيش ومن ثم عمله وافق والدها بعدما رفضت هي أيضا الكثير من أجل أن يكونا معا في النهاية. وها هما اليوم قد تزوجا أخيراً وانتقلا لعش الزوجية معاً رغم أنه ليس منزل مستقل بها كما تتمنى معظم الفتيات لكن ستتحمل لأجله كل شيء، فهما في شقة في منزل عائلة كريم حيث يقطن أبوه وأمه في الطابق الأرضي وأخيه الأكبر وزوجته وابنه بالطابق الأول وأخيه الثاني وزوجته وابنته بالطابق الثاني وستكون سارة وكريم بالطابق الثالث. تعلم سارة جيدا أنها ستواجه الكثير من المشكلات خاصة مع هالة زوجة الأخ الأكبر فطوال فترة الخطوبة كانت تضايقها بالكلمات اللاذعة من وقت لآخر، دخلت سارة شقتها وقد ودعتها والدتها والأهل ليتركوها مع كريم في أول ليلة تجمعهما وحدهما. كانت والدتها تبكي بشدة لوداع ابنتها وانتقالها بعيداً عنها كعادة الأمهات في يوم كهذا فرغم الفرحة لزواج الإبنة إلا أن خلو المكان منها في منزل والدها هو أمر ليس بالسهل أبداً لكنها سنة الحياة حاول والد سارة تهدئتها وودعن سارة وذهبن جميعا ولم يتبقى سوى حماتها وهالة التي بدأتا بالنظر إليها نظرة مريبة أقلقتها بشدة ...

– تقريباً بابا بينادي عليكي يا ماما وانتي يا هالة عزت هينادي عليكي هههههه "قالها كريم مازحا كتلميح منه لذهابهن".

– انت بدأت من دلوقتي مش عايزنا يلا يا طنط بدل مانتهان أكتر من كدة "قالتها هالة قاصدة إشعال والدة كريم".

– معاكي حق يا هالة يلا "قالتها مستاءة تنظر لسارة في ضيق".

– لا يا طنط انتوا تشرفونا الليل كله كريم بيهزر ...انا هقوم احضر الأكل عشان ماما جابية أكل كتير.

– قصدك اننا جعانين يعني.. ده انتي جاية بيت كرم وجود ماتقوليلها يا طنط.

– انا ماقصدتش حاجة والله و ...

– خلاص يا سارة مش محتاجة تبرري هالة بتنكشك بس.

– يعني ايه بنكشها انت قصدك ايه ...؟

– هالة ... انتي مش ملاحظة ان النهاردة ليلة فرحي أنا وعروستي يعني ليلة فرح مش الجو ده.

– يلا يا هالة انا نازلة "قالتها والدة كريم وهي تراقب الأمر في ضيق من دفاع ابنها عن زوجته".

– وانا معاكي يا طنط الواحد كرامته اتبعترت "قالتها وهي تنظر نحو سارة وكريم نظرة حقد".

ذهبا وأغلق كريم الباب من خلفهما دون أن يتفوه بكلمة لأنه يعلم أن هالة قصدت إيذاء سارة بطريقتها ثم اقترب منها وقبل يديها وأخذ يعتذر عما حدث

من هالة وطريقتها الفظة ونصحها بأن تتجنبها وأن تكون العلاقة سطحية حتى لا يقعا في الكثير من المتاعب خاصة أن هالة تؤثر كثيرا بوالديّ كريم.

في صباح اليوم التالي استيقظا على طرق صاخب على باب الشقة حين نظرا الى الساعة كانت لازالت السابعة صباحاً فمن ذا الذي يدق الباب في ساعة كهذه وفي يوم كهذا؟

ذهب كريم مسرعاً ليجد أن الطارق هو علي ابن هالة ...

- فيه ايه يا علي!؟

- مفيش يا عمو يلا عشان نفطر.

- نفطر فين يا علي انت عارف الساعة كام؟

- اه.. احنا الصبح.

- طيب يلا انزل تحت عشان ماما مش تزعقلك.

- هقولك على سر "قالها هامساً" ماما هي اللي قالتلي اطلع أقول كدة ... بس والنبي يا عمو ماتقولها.

- طيب يا علي انزل يا حبيبي دلوقتي وانا شوية وانزل.

ذهب عليّ بعدما ناوله كريم بعض الحلوى ودخل مستاءًا مما حدث ومن أفعال هالة التي باتت لا تطاق منذ اليوم الأول، حاول تمالك أعصابه ودخل الى سارة التي استيقظت هي الأخرى فطمأنها وعادا للنوم مرة أخرى. استيقظا في العاشرة وقامت سارة بحمل علبة كانت قد أعدتها لها والدتها لتحملها إلى حماتها في الصباح (كعادة الأغلبية العظمى من المصريين) نزلت الى حماتها وقدمت لها الهدية لتدخل حينها هالة وتقوم بفتحها بسرعة..

- طقم ملاية سرير وحلة ضغط ... وانا فين هديتي!؟

-.. "لم تعلم بماذا ترد سارة فمن المعروف ان الهدية للحماة فقط ولا شأن لهالة بالموضوع لكنها حاولت تدارك الأمر".. عجبتك يا طنط!؟

- اه جميلة ...

- طيب انا بعد اذنكم هطل عشان بحضر الفطار لكريم.

- إذنك معاكي يختي..

تركتهم سارة وصعدت لأعلى فهي لا تريد أن تدخل في نقاشات مع هالة حتى لا يزيد الأمر سوءا وحين صعودها كانت شقة سوزان مفتوحة وتجلس في مواجهة الباب في حالة حزن شديدة ولم تشعر حتى أن سارة تنظر في اتجاهها ...

- سوزان ...سوزان

- سارة.. تعالي اتفضلي يا حبيبتي صباحية مباركة.

-الله يباركلك..انتي كويسة !؟

- اه تمام الحمد لله على كل شيء "قالتها في شرود وكأن هناك أمر أصعب من أن تخبرها به"

- احكيلي مالك مش احنا اخوات!

- ماتشغليش بالك انتي لسه اول يوم ليكي مش عايزة اصدعك.

- لا انا مش هطلع غير لما تفضفضي.

- ..انا ..انا ..."بدأت في نوبة بكاء شديدة"

- بسم الله عليكي مالك بس ..اهدي اهدي.

- انا عندي كانسر ياسارة

- كانسر؟!

- ايوه بقالي فترة عندي سعال شديد كنت فاكراه مجرد شوية برد بس رغم الأدوية الا انه كان بيزيد مش بيقل قلت اروح اكشف الدكتور طلب مني أشعة لأنه شك في المرض من خلال كشفه وأعراض تانية كنت فاكراها عادية زي الصداع والخسسان وسدة النفس ... وللأسف الأشعة أثبتت ان فيه ورم على الرئة قالي انه في البداية ولازم أبدأ في الكيماوي

"ثم تنهدت بعمق ونظرت باتجاه سارة" لازم أخده عشان ألحق نفسي من البداية والحالة ماتدهورش.

- طيب ياحبيبتي خير وبسيطة ان شاء الله يلا واحنا كلنا جنبك ومعاكي.

- .."أطرقت رأسها لأسفل في حزن لعين"...ماحدش يعرف.

- ولا حتى هشام!؟

- لا ... مش قادرة اتخيل ردة فعله لأنه مش هيقدر على المصاريف اصلاً خايفة أكون بعجزه.

- ازاي تقولي كدة بس...احنا كلنا معاكي وانتي عارفة ان الكل بيحبك وان شاء الله هتكوني كويسة بس لازم هشام يعرف وكلنا هنكون جنبك ندعمك ونقويكي لحد ماتعدي منها ياحبيبتي.

- ربنا يطمن قلبك يا سارة هكلمه في الموضوع النهاردة ... انا اسفة إني عطلتك اطلعي بقى عشان اكيد أهلك زمانهم جايين.

- ماشي ياحبيبتي ..خلى بالك من نفسك.

صعدت سارة تستعد لزيارة أهلها فيما يدعى بالصباحية (يحمل فيها أهل العروس الحلوى وبعض المأكولات) كان كريم قد عاد للنوم مرة أخرى أيقظته وطلبت منه أن ينزل لأسفل يسلم على والدته حتى لا يترك في نفسها شيء من الغيرة بسبب عدم نزوله، قام كريم وفعل ذلك وكان أهل سارة قد وصلوا.

صعدوا إليها ليباركوا لها الزواج وجلسوا معها لبعض الوقت..

- عاملة ايه يا سارة ؟... كويسة يا حبيبتي والله البيت من غيرك وحش أوي "وبدأت في البكاء"

- يا ماما انا كويسة والله.. مش كنتي عايزة تجوزيني دلوقتي وحشتك هههه يلا هاجي معاكي.

- ربنا يهنيكي ياحبيبتي ده دموع الفرح ... كريم عامل ايه معاكي؟!

- كويس الحمد لله.

- والعقربة اللي اسمها هالة؟!

- ياستي ربنا يهديها.

- لا يا سارة من الاول اديها على دماغها عشان ماتستضعفكيش.

- يا ماما هو انا جاية أحارب ..كل واحد بيتصرف بتربيته وانتي ربيتيني على الإحترام.

- ربنا يبارك فيكي يابنتي انتي صح ...امشي عدل يحتار عدوك فيك وأحسن حاجة تتجنبي أي حاجة تضايقك.

- صح كلامك يا بابا ..

- احنا لازم نمشي دلوقتي ..سلمي على خالاتك وعماتك يلا عشان مانطولش.

- خليكو شوية طيب

- لا يا سارة الأصول اننا مانطولش عند العرسان.

قام أهل سارة بالذهاب وخلت الشقة من الجميع عدا كريم وسارة.. كان كريم يتلاشى سارة بشكل ملفت جدا وكلما حاولت التحدث اليه يتظاهر بأنه مشغول بالهاتف ..

- كريم انت كويس!

- تمام "رد دون ان يلتفت اليها"

- هو فيه ايه ؟!

- ولا حاجة.

- لا بجد فيه ايه ؟؟!

- انتي مش شايفة ان فيه حاجة ...ماعملتيش حاجة يعني!

- لا ماعملتش.

- اومال ايه الكلام اللي قولتيه لماما الصبح ده ..يعني قدامي تمثلي انك مؤدبة وبعدين من ورايا تتكلمي بأسلوب وحش مع أمي لدرجة انها تعيط!

- ..."كانت سارة تكاد أن تقع من اثر الصدمة"..

- طبعا ماعندكيش رد ... انتي مفكراني بقى ماليش كلمة و...

- استنى استنى ...انت جبت كل الكلام ده منين ..اساسا لو حضرتك فكرت قبل ماتسمع الكلام و...

- قصدك انتي امي كدابة!

- كريم ..اسمعني للآخر ..انا نزلت ماكملتش دقيقين وطلعت هيبقى كل ده حصل ازاي؟!

- انتي كدابة لانك اتأخرتي ييجي ربع ساعة.

- كريم ماتكلمنيش بالطريقة دي ..انت اتقلبت عليا في ثانية كدا وأول ماتقالك عني كلام صدقته من قبل ماتسمعني وكمان بتكدبني "استدارات عنه لتذهب ثم التفتت له مرة أخرى" وعلى فكرة انا نزلت لمامتك ادتلها هدية وطلعت كانت سوزان ع السلم وقفت معاها شوية وبعدين طلعت على طول ..وانا اللي قولتلك تنزل وياريتني فعلا ماقولت ...عشان من الواضح ان الواحد كل حاجة حلوة هيعملها هياخد مقابلها أسوأ حاجة

- ..."شعر كريم أنه تسرع في حديثه لكنه محاولا ألا يظهر ذلك كعادة الرجال لا يحبون أن يظهروا مخطئين".. يلا عشان ننزل نتغدى..هنا بيت عيلة والكل بياكل سوا

- ماكنش ده كلامك قبل الجواز ..

- ده كلامي دلوقتي ...انا نازل وياريت ماتتأخريش.

يبدو أن الوضع تبدل لأسوأ وضع ويبدو أن كريم من الرجال منعدمي الشخصية أمام أهله ويصدق كل مايقال له دون أن يستمع للطرف الآخر . بدت سارة في ضيق شديد لما حدث خاصة أنها بالفعل مظلومة ولم يصدر منها أي أذى ولم تتفوه أبداً بأي كلمة سيئة ، بدأت حينها تصدق كلام والدتها لها حين أخبرتها أن الحياة بعد الزواج غير وردية كما تتوقع لكنها لم تصدق حينها لكن حتى كريم

تبدل في لحظات بل وغير أيضا وعوده لها فقد اتفقا منذ ذي قبل أن يستقلا في شقتهما ويجتمعان مع العائلة في الليل حتى يكون لهم خصوصيتهم لكنه ها هو غير كلامه بل وسبقها لأسفل وكأنه أمر لا رجعة فيه . لا بد لها إما أن ترفض من البداية وسيحدث حينها مشكلة ويتدخل الأهل وإما أن تتحمل ريثما تختلي به وتقنعه بما اتفقا قبل الزواج وقد رجحت أن تختار التصرف الثاني فلا تريد مشكلات من البداية وهي الآن دون أهلها وقد أصبحت في كنف رجل لطالما تمنته وحاربت الجميع من أجله ولكن يبدو أن العشرة تكشف الكثير عن خبايا لم تكشفها العلاقات العادية . انضمت الى الأسرة وتظاهرت بعدم الإكتراث وتبادلت الحديث مع الجميع بلباقة وهي تتعمد أن تسترجع ماحدث في الصباح مع حماتها وهالة أمام زوجها بذكاء منها لتثبت له أنه لم يبدر منها أي كلم أو غيره وبما أن هالة تسيطر كثيرا على حماتها فمن الفطنة أن تقوم هي الأخرى بكسب ود الجميع بل والتقرب إلى حماها صاحب الرأي والمشورة في البيت .

– عمو هو ممكن أقولك يا بابا أصل بحسك أبويا بمعاملتك وتفكيرك وطيبة قلبك ربنا يخليك لينا.

– الله يكرم أصلك يابنتي والله انتي بنت حلال "كان فرحاً جداً بما قالته سارة خاصة أنه لم يرزق بالبنات"

– ممكن أطلب من حضرتك طلب يا بابا؟

– عنيا يابنتي.

– عايزة ألعب معاك دور طاولة ..كنت بلعبها على طول مع بابا "رغم أنها لم تلعبها قط في حياتها لكنها تعلمت طريقتها مجملا عن طريق إحدى صديقاتها ولأنها تعلم أنه يحب اللعبة جدا كما أخبرها كريم سابقا".

– طبعاً طبعاً ...ده انا نفسي حد يلعبها معايا ثواني اجيبها اصلي عاينها جوه من زمان "كان يتقاقز فرحا كطفل صغير "

– ...رغم أن بداية الموضوع كانت لتأمين نفسها إلا أن الأمر أسعدها جدا فيبدو أنه مع تقدم السن أهملته زوجته للتدخل في شؤون حياة أبنائها وبقي هو وحيداً...

كان الحديث أمام الجميع ولاسيما أمام نظرات هالة التي كادت أن تموت من الحقد ، يبدو أن عزت زوجها ضعيف الشخصية وهي من تحكم البيت فلو كان يلفت إنتباهها أن تصرفاتها خاطئة لما تمادت في كل مايحدث هو يجلس يشاهد التلفاز ولا يهتم لكل مايحدث حوله ،أما زوج سوزان فعلى النقيض تماما يبدو قوي الشخصية وربما سليط وقد يكون هذا السبب خلف خوف سوزان من اخباره بحقيقة مرضها فلا تدري ردة فعله لأنها دائما مشاعره جامدة وأناني بعض الشيء في تعامله معها فهو يدفع إليه بصغيرته طوال اليوم دون أن يساعدها في حملها ريثما تستريح قليلاً. وها هو الآن يجلس يراقب الموقف دون اكتراث لأمر زوجته التي تجلس في هدوء تأن على غير عادتها ولم ينتبه لكل مايحدث معها وحماتها التي كانت بين فرح وترح فهي فرحة لأن سارة تحاول كسب المحبة وتلاشي ماقد حدث بينها وبين زوجها (فقد حكى كريم إلى أمه كل ماحدث) مما يدل أنها زوجة عاقلة ولكن أصابتها الغيرة على زوجها الصلب دائما الذي تحول

فجأة لطفل صغير ، أما كريم فكان من داخله يعلم أنه أخطأ وتسرع في الحكم عليها من كلمات والدته اللاذعة التي من المؤكد زرعتها هالة بها حيث أخبرته (أن سارة حين نزلت تحدثت بكبرياء بنظرات متعجرفة وردت على حماتها بكلمات غير لائقة وحين حاولت حماتها التحدث تركتهم وصعدت في البداية لم يصدق والدته لكنها بكت وبرعت في التمثيل حتى صدقها) ولكنه الآن متأكد أنه لم يحدث وان الموضوع كان مجرد غيرة من الزوجة الجديد. فالكثير من الأمهات (الا من رحم الله) يساورهن القلق حيال دخول زوجة الإبن في المنزل فيخشون أن يسرقن أبنائهن ويبعدهن عن أمهاتهم لذا تعتقد أنها يجب أن تستحوذ على ابنها منذ أول يوم حتى لا يتسنى للزوجة أن تجذبه نحوها ومن الواضح أن والدة كريم منهن . لكن كريم أقر في نفسه أن يعتذر منها ولا يكون هو الآخر عليها فبالتأكيد والدته وهالة قد يفسدون فرحتها ولكنها يعلم أن مجرد الإعتذار لن يكفي فقرر أن يفاجئها بمفاجأة لن تتوقعها. كانت سوزان غير مكترثة لكل مايحدث كانت شاردة بائسة حزينة حتى حين تناول الطعام كانت كما يقال في وادي آخر ...

– ايه يا سوزان مابتاكليش ليه؟!

– ها...بتقولي ايه يا هالة!

– اللي واخد عقلك يتهنابه

– انا تمام

– ده حتى طنط اللي طابخة النهاردة هو الاكل مش عاجبك ولا ايه؟!

– ده جميل تسلم ايدك ياطنط .. انا بس يمكن عشان كنت واكلة ساندوتش من شوية فمش جعانة أوي.. انا هستأذن وبالهنا والشفا على قلبكم

"قامت بحمل طبقها ودخلت الى المطبخ".

ودت سارة لو تلحقها في الحين لأنها تعلم ماذا بها لكن سيقولون بأنها تتظاهر بالنفاق ومتصنعة للإستحواذ على الجميع منذ أول يوم فأكملت طعامها وما ان انتهى الجميع حتى حملت بعض الأطباق لإدخالها إلى المطبخ حيث تجلس سوزان

- سوزان انتي كويسة ؟!

- تمام يا سارة.

- طيب ماأكلتيش ليه ؟!

- عادي والله ماليش نفس.

- بس لازم تتغذي كويس عشان نفسك وعشان تقدري تصلبي طولك.

- والله يا سارة ما بقيت قادرة ومش عارفة هقول لهشام ازاي.

- تقوليله على ايه ؟! "كانت هالة تقف على باب المطبخ تقوم بالتنصت عليهما"

- مافيش حاجة انا طالعة.

- طالعة فين ياختي انتي هتعيشي الدور ..انتي اللي عليكي تشطيب المطبخ النهاردة.

- انا ممكن أساعدك

- ايه الحنية دي لا هي اللي عليها "قالتها بتسلط وكأنها مديرة تأمر موظفتان"

- انا تعبانة و....

"فجأة سقطت سوزان أرضا مغشيا عليها"....

صرخت سارة بعلو صوتها واجتمع الجميع وحملوها إلى السرير وبدؤوا بإنعاشها كي تستفيق لكن لا جدوى فاضطروا لطلب طبيب إلى المنزل وبات الجميع في ذهول لما حدث ولاسيما سارة التي تعلم حقيقة الأمر فقلبها يدمي لأجل سوزان ويحسبها الجميع أنها تدعي الخوف أو تتظاهر بذلك بدأ الطبيب بفحصها وقد اتضح على وجهه علامات بعدم الارتياح حيال حالتها ونبضات قلبها وصوت أنفاسها غير المتوازنة ذات الصوت العالي ثم نظر إليهم في قلق ...

- هي بتعاني من مرض معين!؟

- لا كويسة.

- حضرتك متأكد!؟ ... الحالة ماتسرش خالص ومن الواضح انها بتعاني من مشكلة.

- لا يادكتور يمكن عشان ماكلتش المهم فوقها بس.

- فيه ايه حضرتك هو ايه اللي افوقها دي محتاجة تتنقل المستشفى حالاً.

- يادكتور الموضوع بجد مش مستاهل يعني لو ينفع تديها محلول ولا حقنة "لم يكن يريد الذهاب حتى لا يضطر لدفع المزيد من المال".

لم يرد عليه الطبيب وأشار إليه حماها أنه سيقوم بطلب الإسعاف حالاً وأخبر ابنه ألا يقلق بشأن المال فزوجته أهم بكثير من التفكير بتلك الأمور وبالفعل ذهبوا جميعاً لأقرب مشفى ومن بينهم سارة التي لم تستطع إخبارهم بالحقيقة وتركت الأمر للأطباء ليخبروهم بحقيقة المرض بعدما تم فحصها ، صعق الجميع لما سمعوا وازدادوا بؤساً على بؤس وأوضح إليهم الطبيب أنه يجب البدء في العلاج الكيماوي فوراً وإلا حدث لها مكروه كبير كما أوضح لهم أنهم اذا أرادوا

العلاج المجاني فسينتظرون دورهم في صفوف كثيرة من المنتظرين الذين يموت منهم الكثير في كل يوم منتظرين أدوارهم. بدأ زوجها يقلب كفا على كف لعلمه بزيادة المصاريف ان اضطر للعلاج على نفقته ثم استدار إلى الطبيب..

- ايه اجراءات العلاج المجاني ده ؟!

- يااستاذ بقولك بياخد وقت جامد.

- طيب يادكتور بيني وبينك يعني لو خدت العلاج ده هيجيب نتيجة ولا في الفاضي؟!

- مش فاهم حضرتك يعني ايه في الفاضي!!

- يعني قصدي لو كدة كدة هتموت مايبقاش موت وخراب ديار

- هو حضرتك متأكد انك جوزها ! لا حول ولا قوة الا بالله .. اتقِ الله ياأخ ده ميراتك بردو.

- .."أشاح عنه بوجهه دون أن يتحدث وكأنه لم يستلطف حديثه"

كان الجميع يراقب الموقف في خوف وألم لأجل تلك المسكينة النائمة بلا حول منها أو قوة ولا تدري مايحدث الآن من زوجها الذي استأمنته على نفسها بدلاً من أن يبكي لحالها يفكر في المال فقط رغم أنه مقتدر ويدخر مالاً يستطيع به علاجها.

كانت سارة تنظر الى كريم ماذا لو كانت تحل هي محل سوزان هل ستكون ردة فعلته كأخيه أم سيبيع الدنيا لأجلها؟! وهل جميع الرجال هكذا أم منهم المحب حقاً لزوجته الذي يخاف عليها من الفقد لأجل نفسه أولاً قبل أن يكون لأجل أولاده ؟! هل يفرط الأهل في ابنتهم ويقدموها لزوجها لتكون هذه نهايتها

تلقى على سرير بإحدى المستشفيات بينما يفكر زوجها هل يعالجها أم لا؟! هل هكذا تهون على قلبه لمجرد أنها مريضة؟!

لمّ الرجال في مجتمعاتنا يتعاملون مع المرأة على أنها خادمة ومربية لأطفال تنجبهن من رحمها وفور أن تمرض أو تموت يجيئوا بأخرى تحمل نفس الأعباء! لمّ لا يحترمون كونها عظمية تتحمل الكثير فهي الأم والأخت والإبنة والزوجة ومن تتحمل مالا يتحمله رجل فهل يستطيع رجل أن يجلس بطفل يركض من هنا لهنا وبنفس الوقت يطهو ويغسل ويكنس وينظم بل ويهتم بنفسه أيضا ويعمل في نفس الوقت ؟ لا أظن أبدا فمعظم الرجال (الا من رحم الله) يذهبون لأعمالهم وحين العودة لا يطيقون أن يتحدث أبدا بجانبهم ولا يتحملون صراخ او لعب الصغار بينما المرأة قد تعمل لطوال اليوم دون ان تشتكي (أعانهن الله) .

مسكينة أنتِ ياسوزان شفاكِ الله وعافاكِ لأجل صغيرتك التي ستموت قلقا عليكِ دون فهم منها ماذا يحدث حولها وماذا بكِ.

هالة تقف بشكل عادي متوازن جدا وكأن سوزان مصابة ببعض الانفلونزا وليس كانسر تقف بجانب زوجها الذي وقف حزيناً لأجل ماحدث لسوزان الطيبة ، كريم أيضا يبدو حزيناً لأن سوزان طيبة والجميع يحبها ودائماً ماكانت تصنع لهم الحلوى فهي متميزة جداً في صنعها وتساعدهم في كي ملابسهم بل وكانت أثناء خطبة كريم دائما ما تسأل على سارة وتوصيه بها لا تحمل بقلبها أذى ولا كره ولا حقد لأحد طيبة جداً.

بعدما استيقظت سوزان وقد كان الجميع حولها وفهمت من نظرات سارة ان الجميع قد علم بشأن المرض بدأت في البكاء حاولوا تهدئتها ومن ثم خرجوا من المشفى مع بعض الأدوية التي وصفها الطبيب لعدم تدهور الحالة مع تأكيده لمرة أخرى أن يبدؤوا في العلاج الكيماوي قريباً ثم رحلوا إلى المنزل حيث ينتظر الأطفال مع جدتهم صعدت سارة لتوصل سوزان لشقتها وتطمئن عليها .

بينما اجتمع الجميع أسفل وأخبروا حماتها بما حدث..

- يا خرابي المرض الوحش!!

- أيوه .. والعلاج كمان لازم تبدأ تاخده قريب.

- ياعيني يا بنتي .."تبدو طيبة القلب فقد بكت لأجل سوزان حزنا عليها" يا شبابك ياكبدي .. ده بنتها لسه ماتمتش تلت سنين .. بس والله ناس بتتعالج وبتقوم منها "كانت تتحدث بصوت يدمي القلب حتى بات الجميع غير مصدق".

- العلاج مش سهل يامه.

- هو صعب عليها اه بس سوزان جدعة وهتستحمل عشان خاطر بنتها.

- تمن العلاج كتير يامه و...

- اخس عليك وعلى تربيتك ...مستخصر في ميراتك اللي شايلاك ومستحملة كل اللي بتعمله ..هو عشان أنا مابغلطكش قدامها هتفكر نفسك صح ..اتقي الله يابني وشيل مراتك في تعبها زي ماهي من يوم مادخلت البيت شايلاك وشايلانا ومستحملة كتير.

- وافرض قعد يكع وماتت في الآخر هيستفاد ايه يعني هو بيفكر صح ياطنط.

- انتو بتفكرو ازاي قلوبكم ماوجعتكمش عليها؟!!!

- ياستي ربنا يشفيها بس هو ذنبه ايه يعني ..

- يا ستار يارب على قلوبكم ربنا يكفينا "قالتها وهي في طريقها لأعلى ذاهبة لسوزان"

- ماتضايقش من كلام طنط هي ست كبيرة وماشية بعواطفها ...خدها نصيحة مني انت ذنبك ايه وديها لأهلها وهما أصلاً مبسوطين وهيعالجوها ويدفعوا هما وعشان ماتحسش بالذنب ولا حد يقول سايب أهلها يصرفوا وهو ولا هنا طلقها وريح دماغك من اه وتعبانة هو انت متجوز عشان ترتاح ولا عشان تخدمها وتريحها "كانت تبث إليه الحديث في همس كحية تنفث إليه سمها الدفين "

- ايوه نفس اللي فكرت فيه .. معاكي حق ألحق نفسي من دلوقتي بدل ما اقعد اصرف اللي ورايا واللي قدامي وأضيع فلوسي وشبابي عليها أطلقها وأشوف واحدة صحتها كويسة.

- اه أهو حتى تلاقي واحدة عفية تربي بنتك .. عارف سهام أختي اطلقت من جوزها بقالها شهرين وانت عارف سهام وحلاوتها وصحتها حلوة اسم الله عليها هتبقى أنسب واحدة ليك أنا هفاتحها في الموضوع. واهو لسة شهر على عدتها ماتخلص.

- على بركة الله .

لم يكن الباقين منتبهين لما يدور بين هالة وهشام من سم أفعى مشترك فهما الاثنان من أسوأ القلوب ورغم أن الطيور تقع على أشكالها إلا أن كلا منهم متزوج من شخص طيب ذو قلب رحيم ،لكن الله يمهل ولا يهمل .أما سارة فكانت تهدئ من روع سوزان التي رأت تجاهل زوجها لها بوضوح ربما كانت تتوقع من البداية ردة فعله لكن لم يخطر ببالها أن يصل لهذا الجحود كان ذلك يؤلمها آلاما مضاعفة على ماتتحمله من ألم مرضها فهي توقن الآن أشد الإيقان أنه بين ساعة وضحاها قد يرمي بها خارج المنزل لأنه لن يتحملها ، كانت شاردة وتجلس في حضنها ابنتها التي كادت تموت قلقا وخوفاً في غياب أمها تمد كفها الصغير لتمسح دموع سوزان المتساقطة رغما عنها على جدائل ابنتها المنسدلة على كتفيها بينما كانت سوران لا تنتبه لها ، وسارة تحاول التحدث إليها لكنها لم تكن تنتبه أبدا...

- سوزان ...سوزان "قامت بالربت على كتفها لتنتبه إليها"

- ها...ايوه!

- ايه يا حبيبتي مالك؟!

- خايفة وحزينة ومقهورة وبتمنى الموت ياسارة.

- يا ساتر يارب ليه كدة بس ربنا يخليكي لبنتك ..حرام عليكي ده بصي هتموت عليكي ازاي.

- ..."قامت بضم ابنتها وهي تزداد بكاء".. هي اللي كانت مصبراني وهي اللي عشانها بحارب لوحدي.

- احنا كلنا معاكي وجنبك والله ..

- صح يا سارة هو انتي اللي قولتي للدكتور؟!

- اه ..لما رحنا المستشفي انا دخلت معاكي في الأول وسألني هل بتعاني من حاجة قولتله على المرض وقالي انه كان شاكك لما فحصك وكان عايز يعملك أشعات عشان يتأكد بس قولتله انك عاملاها .. وفهمته ان ماحدش عارف فقالي انه هيقول ان ده تبين من الفحص.

- تمام أصلي استغربت هو عرف من غير أشعة ازاي!

-ي لا كله خير المهم هما أهلك يعرفو؟

- للأسف مش بنتكلم ..

- ليه؟

- لأنهم من بداية الجواز كانو مصممين اني انفصل عن هشام بسبب معاملته الوحشة ليا ومرمطته وبردو بسبب عمايل هالة وأنا كابرت وقلتلهم اني متحملة نتيجة اختياري وبعدها هو منعني من زيارتهم وهما كمان مابقوش ييجوا.

- يانهار أبيض يعني بقالك ييجي سنتين ماشوفتيش أهلك ... أهلك لا تهلك يابنتي حد يختار شخص ويستغني بيه عن أهله ..عشان كدة مستضعفك.

- ايوى عارف اني ماليش حد ومحدش هيقفله.

- لا حول ولا قوة الا بالله ... خير يا حبيبتي ان شاء الله هتتجمعي بيهم قريب.

- ..."كانت حماتهم قد دخلت لتوها"...سوزان ..والنبي ماتزعلي نفسك ان شاء الله هتبقى كويسة.

نظرت كلا من سارة وسوزان الى الأخرى في غرابة لتبدل حال حماتهم فهي تبدو حزينة على حق وليس تظاهر أو نفاق..

- الحمد لله ياطنط ...الحمد لله على كل حال.

- سايق عليكي النبي ماتزعلي مني والله أي مرة قولتلك فيها كلمة تضايقك كان بعشمي انك زي بنتي ...

- مش زعلانة أبدا منك إنتي زي أمي...وأنا اتقطعت منهم ومابقاليش حد.

- ماتقوليش كدة ياكبدي والله هتبقى كويسة وتقوملنا بالسلامة ... خلاص يا سارة قومي انتي يابنتي اطلعي شقتك والله ضيعنا عليكي فرحتك معلشي بس انتي جدعة وبنت أصول.

- ربنا يخليكي ياطنط..انتي اللي طيبة وقلبك جميل .. لا ولا يهمك ان شاء الله الأيام الجاية تبقى حلوة علينا كلنا وبعدين انا بقيت واحدة من العيلة.

- طبعا يا بنتي.. بس قومي اطلعي وانا هقعد مع سوزان.

قامت سارة لتصعد لشقتها التي كان قد سبقها إليها كريم وهي تفكر في أمر والدته كيف هكذا تبدل حالها ربما تألمت لأجلها وربما اتعظت لحالها وربما جحود ابنها جعلها تتعاطف مع تلك المسكينة التي أخطأت وتعدت على حقها كثيرا ، بل وأصرت حماتها أن تتصل بنفسها على أهل سوزان ليأتوا إليها ليكونوا هم أيضا في الجوار حتى تشعر باطمئنان فبالتأكيد ستكون سوزان فرحة لأجل ذلك ، لكن هل يجب أن يمرض الإنسان أو يموت حتى يتعاطف معه الناس ؟!

لمّ دائما يستفيق الناس من غفلتهم في نهاية الأمر؟! لمّ دائما يهتمون في النهاية خشية الفقد فلمّ لم يحافظوا ويهتموا منذ البداية؟! لكنهم مثل رجال الشرطة دائما مايصلون في نهاية الحادث.

بل وحكاية مقاطعة أهلها بسبب زوجها كيف تتحمل الفتاة بل وتجرؤ على مقاطعة أهلها لأجل زوجها تتخلى عن من عاشت معهم عمراً للبقاء مع رجلاً لا تعرفه حق المعرفة رجلاً لطالما حذرتها منه والدتها ودائماً للأمهات نظرة لا تخطئ أبداً ها هو الآن يتعامل معها بأسوأ معاملة وتتحمل لتكابر مرة أخرى وكأنما تثبت لنفسها أنها لم تخطئ.

أي إثبات هذا يا سوزان هداكِ الله أنتِ تقتلين نفسك لأجل رجل لا يستحق ذرة حب من قلبك الجميل لكنه ها قد ظهر الآن أمامك بوضوح فحقيقة الأشخاص تظهر في الشدة وفور انتهاء العلاقات. وكل الأمنيات من الله ألا تكون هذه نهاية سوزان شفاها الله .

كان كريم يجلس منتظرا سارة في ندم شديد وتأنيب لضميره فبسبب عناده مع سارة أفسد عليها فرحتها كونها عروس جديد من المفترض ألا تخرج لأول أسبوع لها لكن المسكينة قضت اليوم الأول بين زوجها الذي أزعجها دون وجه حق وبين المشفى والحزن والكثير من الألم مما أفسد بالطبع نفسيتها . دخلت سارة وقد خلعت عباءتها وراحت لتتحمم لعل جسدها يستريح فمنذ الخامسة عصراً وهم في المشفى وها هي قد دقت الحادية عشر وكان اليوم متعباً بشدة . انتهت من حمامها ثم ذهبت لتنام وهي متعمدة ألا تتحدث الى كريم بسبب تسرعه دون السماع اليها وارغامها على النزول لأسفل واخلافه لوعده منذ اليوم الأول . هي

تدري أنه هو الآخر متعب من أثر اليوم لكن يجب أن تأخذ وقفة مع نفسها حتى لا يكرر ماحدث مرة اخرى ليس تأديبا بقدر ماهو أساس لحياتهم القادمة وهو السماع أولاً ثم الحكم وعدم التسرع والأمر لمجرد الغضب أو الفهم الخطأ .

دخل كريم في هدوء وهو موقن في قرارة نفسه أن سارة مستاءة منه حيث لا تمنع نفسها عنه إلا حين يقترف خطأ فادحا ومن الواضح أنه تمادى معها في الصباح وكانت النتيجة ضياع اليوم بل وضياع فرحتها معه ...

- سارة ...سارة.

- ايوه!

- انتي نمتي؟!

- امم

- طيب بتردي ازاي "مداعبا إياها حتى تضحك"

- عايز حاجة !؟

- انا آسف على فكرة اتسرعت و...

- انت اهنتني يا كريم وكدبتني وزعقلتي واتخانقت معايا وسبتني ونزلت وكمان صممت اني انزل وراك ... رغم ان مافيش عروسة يوم صباحيتها يبقى كدة.

- عشان كدة بعتذر انا فعلا معرفش انا ازاي حصل مني كدة ...وضميري مأنبني ان اليوم باظ ..انا آسف "قام بتقبيل رأسها ويدها"

- خلاص يا كريم.

- يعني صافي يالبن.

- حليب ياقشطة.

- هههه والله مافي قشطة غيرك ... عاملك مفاجأة.

- بجد! ...ايه؟

- هنروح مرسى علم كمان أسبوع ... انا بصراحة كنت عامل حسابي نروح كمان يومين بس عشان سوزان أجلتها ..

- بس ..بس مش انت. قولتيلي انك مش هتقدر عشان التكلفة!

- ياستي هي فرحة واحدة في العمر وربنا يوسع رزقنا ..وانت تستاهلي أنحت في الصخر عشانك ولازم أعوضك عن اليوم اللي باظ ده و.....

- ايه ده ...ايه الزعيق ده ..

- ياستي مالناش دعوى ..احنا عرسان.

- يابني شوف فيه ايه طيب.

- يادي النيلة ...حاضر يا سارة حاضر اقسم بالله حد باصصلي في أم الجوازة دي... مش عارف ايه اليوم اللي كل حاجة بتحصل فيه ده ...خليكي هنا أنا نازل "قالها كريم وهو مستاء بعض الشيء فتقريبا ضاع يومهم الأول سويا ولم يجتمعا وحدهما وأنا ان اختلى بها حتى توالت الأحداث من جديد".

ماحدث كان كارثة حقا فعندما ذهب الكل إلى شقته الخاصة كان أهل سوزان قد وصلوا بعدما تحدثت إليهم حماتها لتخبرهم بالمجيء فوراً مما أقلقهم وأنساهم كل ماحدث لربما أصاب سوزان مكروه ما ، حين وصلوا كانت سوزان لا زالت تستلقي على فراشها اثر بعض المحاليل التي أنعشتها بالمشفى فكانت متعبة بعض الشيء وقد نامت صغيرتها بين أحضانها متشبثة بها وكأنما تخاف فقدها

مما جعل سوزان تبكي لأجلها ، بينما كانت تجلس على حافة سريرها حماتها وقد بات وجهه محتقنا وملامح الحزن تأكله أكلا بينما كان يجلس زوجه في الصالة وقد أشعل سيجارا ممسكا بهاتفه تملؤه اللامبالاة.كان الوضع بالغ التناقض فلو كانت سوزان مريضة كيف يجلس زوجها هكذا وما بدل حال حماتها التي تجلس قلقة هكذا وقد تركت زوجها بالأسفل وقد بدا على وجهه هو الآخر حزنا بالغا ترى ماذا هناك ؟ ...

- السلام عليكم.

- عليكم السلام ...ايه ده عاش من شافكم ده الواحد كان نسى شكلكم "قالها هشام بمنتهى التهكم"

- ..."كانت غرفة سوزان في مقابلة الباب لذا أكمل والدها طريقه إليها دون أن يرد على هشام الذي بلغ من انعدام الحياء أقصاه ولا يريد أن يدخل معه في مشاحنات ريثما يطمئن على ابنته"

- سوزان ياحبيبتي انتي كويسة ...فيكي حاجة ...مالك كدة وشك أصفر ...فيه ايه؟!!

- انا كويسة يا ماما ماتقلقيش والله بخير.

- بخير ازاي .. لا قلبي مش مطمن ..."قامت باحتضانها بشدة بعد فراق دام طويلا دون لقاء"

- .."كان يراقب الموقف وهو ينظر الى ابنته يكاد أن يبكي ولكنه يحاول أن يكون متزنا حتى لا يظهر مشاعر ضعفه حيال ابنته التي اختارت زوجها وتخلت

عن أهلها لكن هكذا هم الأهل دوما مهما حدث من أبنائهم يسامحون سريعا"...عاملة ايه يا سوزان ؟!

- الحمد لله يا بابا ...

- ازيك ياام عزت ؟..

- بخير ياحاج ...اتفضل.

- يزيد فضلك ..."كان حديثه دون مشاعر منه فقد كان بينهم من المشاحنات مايمنع الحديث بتاتا لكنه آداء واجب لا اكثر "

- والنبي يابنتي ماتوجعي قلبي ... هي مالها يا ام عزت..طيب لو مافيهاش حاجة كلمتينا ليه ..أكيد حصل حاجة!

- والله ماعارفة أقول ايه...

- ليه هو الموضوع كبير ولا ايه ..."كانت تتحدث بقلق بالغ وقد اغرورقت عيناها بالدمع"

- بصي يا ماما ربنا لما بيحب حد بيبتليه وانتي مؤمنة بقضاء ربنا و...

- الكلمتين دول وراهم ايه يا سوزان ...بتعملي فيا كدة ليه؟؟!!!

- انا عندي كانسر يا ماما.

- يا همي ...."لطمت خديها"

- يا ماما اهدي وماتصعبيهاش ...على فكرة الدكتور طمنا وان شاء الله هخف لما آخذ الكيماوي.

- ..."كاد قلبه أن يقف حينها وجعا على ابنته"..

- بابا والنبي أتكلم وما تكتم في نفسك عشان صحتك.

- صحة ايه يا بنتي ...ياريتك تاخدي صحتي وعمري ولا أشوف فيكي وجع ولا مرض ...انتي لازم تبدئي في العلاج فوراً.

- أيوه جينا المهم بقى "كان قد دخل هشام وقالها ثم سحب بأنفاسه بعضاً من الدخان وأخرجه في أريحية تامة"

- يعني ايه مش فاهم ؟

- لا يا حاج صحصح كدا ... يعني وانت ماشي انت والحاجة تاخد بنتك معاك تعالجها بقى ماتعالجهاش انت حر ... انا مش هدفع شقا عمري ويا عالم هيحصل ايه!!

- انت عيل واطي ونظرتي عمرها ماخيبت فيك من يوم ماشفتك ... بنتي اصرف عليها كنوز الدنيا وانت حسبي الله ونعم الوكيل فيك.

- انت بتحسبن عليا والله ل....

- اخرس يا عديم الرباية انت لا يمكن تكون ابني اللي ربيته خسارة فيك عمرى وتعبي عليك انت ايه "كانت تتحدث وهي تبكي من صدمتها بابنها الحقير وبدأ صوتها يعلو"

ونشب خلاف حاد بينهم لدرجة أن هشام كاد أن يعتدي على والدته لتهذيبها له أمام الجميع وكأنه طفل في السابعة من عمره حتى سمعهم كل من في المنزل ليأتي كريم وهالة وزوجها ووالد هشام الذي حين سمع ابنه يعلو صوته على والدته ممسكا بأعلى يدها وكأنما يريد التعدي عليها اقترب منه دون ان يتفوه بكلمة ليلطمه على وجهه مما أحدث في المكان صمت بالغ وبدأ ينهال عليه بأقسى الكلام وتوجه لوالد سوزان يعتذر منه على ماحدث بينما كانت سوزان منهارة

انهيار تام لما حدث وما قاله زوجها بمنتهى الجحود وكأنها مجرد أمة امتلكها لخدمته فما أن مرضت فيجب التخلص منها وردها من حيث اشتراها كأسواق الرقيق ،كانت تحترق من الداخل وتبكي بوجع بالغ من الخارج وقد استيقظت ابنتها على الأصوات العالية واجتمع الجميع

لتستوعب أن ذاك الذي تخلت عن أهلها من أجله وضحت كل هذه السنين لأجله لا يستحق حتى أن تنظر إليه ذاك الذي تخلى عنها بمجرد مرضها وكأنما ابتلاها الله لتعي حقيقة أمرها وتكتشف معدن زوجها الحقير ولكن أي وجع هذا يالله وجع لا يوصف صدمة تذهب العقل وكسرة تحطم القلب ونذالة يبكي لها الحجر .

قطع تفكيرها صوت حماها وهو يطرد ابنه خارجا وقد أقر أن هذه الشقة لن يسكن بها سوى سوزان وابنتها وان كان هناك بد من رحيل شخص فهو هشام فليبحث بماله عن شقة أخرى ريثما يعود لعقله لكن هشام لم يتحمل أبدا تلك الإهانة ...

- انت بتضربني عشان خاطرها!

- وأكسر دماغك كمان .. عشان انت واطي وخسيس ولا يمكن تكون ابني.

- طيب تمام ... سوزان انتي طالق "قالها في تحدي مثلما يفعل الصغار حين يعاقبهم آبائهم فيسرعون لعمل مصيبة منهم كنوع من العناد والتحدي"

- طيب يلا اطلع بره ومالكش هنا حاجة.

- يعني ايه ماليش حاجة؟!

- يعني اللي يبيع مراته في لحظة كدا ويكون رد فعله بالمنظر ده على أمه واحد غير سوي وممكن يبيع أهله عشان أناني وجاحد...اخرج بره بيتي والشقة دي لمراتك الغلبانة وبنتك وانت حد الله بيني وبينك انت كلب ولا تسوى .. وقدامكم كلكم أهو الكلب ده مالوش ورث في البيت.

- ..."بدأ يتفوه بكلمات تهديد ووعيد وهو يفتح دولابه ويأخذ معطفه الخاص ثم ذهب خارجا".. انا هوريكم وهوريك يا راجل يا ضلالي وخليها تنفعكم .

خرج هشام دون حتى أن يلتفت لصغيرته التي كانت تراقب الموقف في ذهول لا تفهم ماذا يحدث ولمّ يصرخ الجميع هكذا والى أمها التي تشهق من شدة البكاء بسبب رجل لا يربطه بالرجولة سوى بطاقته الشخصية أقل من أن يوصف بحثالة فلم يكتفي بخسته ونذالته مع زوجته المسكين بل كاد أن يتعدى على أمه لمجرد دفاعها عن سوزان ، كيف يكون هذا ابنها وتربيتها هو مختلف كل الاختلاف عن أخويه تمنت أن يخرج ولا يعود مرة أخرى . اقترب والد هشام من سوزان ...

- حقك على راسي وعيني يابنتي.

- ..."لا تتحدث فقط تركت دموعها تنهمر انهارا يكاد قلبها يتوقف من الحسرة والندم والألم"

- خليكي جدعة عشان تخفي لبنتك اللي هتموت عليكي.

- سوزان قومي يا حبيبتي البسي وروحي معانا على بيتنا.

– ده كمان بيتكم ياام سوزان هي تعبانة باتو انتو معاها النهاردة "والد هشام شديد الاتزان في حديثه"

– لا يا حاج احنا هنروح وهناخدها كفاية كدة عليها عشان بكرة نوديها لدكتور كبير.

– انا مش عاوزة اروح اَي مكان ياريت تسيبوني لوحدي مش عايزة حد.

– لا ياحبيبتي ماتقوليش كدا انا ماصدقت أشوفك انا عارفة اننا غلطنا لما بدينا كرامتنا على اننا نجيلك ونسأل كنا فاكرين بنأدبك عشان اتحديتينا عشانه ... ربنا يسامحه ربنا يسامحه.

– مش عايزة اسمع حاجة سيبوني لوحدي.!

خرج الجميع من الغرفة وأخذوا معهم ابنتها وتركوها وحدها حتى لاتنتابها نوبة عصبية اثر البكاء والحالة التي وصلت اليها رحل والدها لإصراره أن يبحث عن طبيب كبير متخصص مهما كلف الأمر بينما ظلت والدتها بالقرب من الغرفة لربما احتاجتها سوزان وذهبت كلا من هالة وزوجها اللذان لم يتحدثا بتاتا لصعوبة الموقف كما نزلت حماتها وحماها الى أسفل منكسي الرأس من فعلة ابنهما بزوجته كما صعد كريم بعدما فهم كل ماحدث لكن عجز أن يتحدث أو يتصرف لهول مافعله أخوه حيث كانت سارة في انتظاره خلف الباب بمنتهى القلق ..

– فيه ايه يا كريم ايه اللي حصل؟!

– امم مافيش.

– هو ايه اللي مافيش ايه اللي حصل بجد؟!!!

– هشام طلق سوزان وبابا طرده ومشي وساب البيت.

- يانهار أسود ..ازاي ليه ..؟

- روقي دماغك يا سارة انا هدخل أنام "كان حزينا لكل ماحدث"

- .."استاءت من تجاهله لها لكنها شعرت بأن ماحدث أسفل أمر بالغ الصعوبة ويصعب على كريم أن يحكيه إليها لذا حاولت أن تبدو لطيفة".. ماشي يا حبيبي تصبح على خير انا كمان هنام النهاردة فعلا كان يوم صعب جداً.

خلدا إلى النوم أو ربما التظاهر بالنوم فهم مغمضي الأعين لكن عقولهم لم تنم كل شارد فيما حدث فكريم يسترجع كل ماحدث يكاد يبكي من فعلة أخيه وصمته به ولاسيما قلب أمه المحترق لما حدث واضطرار أبيه لطرده لم ينسى منظر الصغيرة وهي تتفقد الموقف ولا تفهم شيء ومنظر سوزان بعدما انهارت تماما كيف ستستطيع أن تتخطى أزمة مرضها فمن أهم مراحل العلاج ان تكون المريضة آمنة نفسيتها سوية بجوارها الجميع لدعمها فكيف حال سوزان بعدما انتكست تماما انتكاسة قد لا تتخطاها بعدما تركها من كرست حياتها وتخلت عن الجميع لأجله.

هل أصابها مرض لتعلم كم هو حقير وأنه لا يستحق كل ماتفعله لأجله ؟!

وماذا لو ماتت اثر تلك الصدمة كان الله بعونك سوزان ، كانت سارة هي الأخرى يجول بخاطرها هذا الأمر وكيف حال سوزان الآن فرغم أنها لم تجلس معها الكثير الى أنه من الواضح جدا حبها الشديد لزوجها فكيف هي الآن بعدما طلقها في يوم كهذا حيث اكتشف مرضها ، بالتأكيد لا يريد كريم إخبارها بما حدث لإحراجه من تصرف أخيه هو على حق فأخيه قد أصبح عارا عليهم لخسته

. بينما ظل والد سوزان يبحث لطوال الليل ويسأل عن أفضل طبيب وحين تم وصف طبيب له يقال عنه أفضل الحديث وجد أن أقرب ميعاد بعد أسبوعين لتدافع وإقبال الناس عليه وقد بدا له بعد بحث طويل أن أغلب الأطباء المشهورين اقرب ميعاد للكشف بعد أسبوعين وربما أكثر قام بالحجز عند احدهم ثم جلس في غرفة سوزان القديمة وأغلقها وانهار بكاء على حال ابنته المسكينة وما آلت اليه بدونهم ترى كيف كان يعاملها لطوال الفترة السابقة تدمرت نفسية ابنته على يد رجل لا يعرف الرحمة فقد رماها اليوم بطريقة مهينة بشعة لكن حمدا لله أن خلصها منه ويالیتها تتخلص أيضا من مرضها . أما عن هالة وزوجها فلم تكن تكترث أبدا لما حدث بينما جلس زوجها حزينا جدا ...

- انت زعلان ليه مش فاهمة!!

- على حال البنت ...ماتستاهلش أبدا.

- ده ليه ان شاء الله هي خلقة عن الناس اكيد عملت حاجة في حياتها و...

- انتي ايه ياشيخة ..يعني كل اللي جرالها ده وبردو مش صعبانة عليكي!!

- كفاية انت ياحنين.

هكذا تم إغلاق ستار يوم كئيب حزين بكل مايحمله من تفاصيل مؤلمة وقلوب محطمة وأعين دامعة .

استيقظوا جميعا في اليوم التالي على صراخ هالة ليكتشفوا أنه بينما يلعب ابن هالة على سلالم المنزل تزحلق على السور فانفلتت قدماه وارتطم ارتطاماً بالأرض لدرجة أن هالة خرجت من شقتها على صوت ارتطامه حاولت تعنيفه وافاقته

لكنه قد غاب عن الوعي فبدأت بالصراخ لتوقظ الجميع وانتقلوا إلى أقرب مشفى لمحاولة انعاشه.

وبالفعل ادخلوه الى العناية المركزة لسوء حالته الشديد بينما بقيت هالة تبكي وتلطم وهي بثياب المنزل فمن صدمتها ركضت لانقاذ طفلها قبل أن يفقد حياته وبدأت في العويل لدرجة أن قسم التمريض طلب منها الانتظار خارجاً لراحة المرضى وعدم ازعاجهم بصوتها بينما كانت هي في حالة يرثى لها وهي تدعو الله أن يأخذ عمرها هي بينما ينعم طفلها بالحياة.

لمّ يعاقبها الله في طفلها! ماذا فعلت ليحدث له ذلك فمن وجهة نظرها أن تصرفاتها لم تكن خاطئة فالشخص الغيور لا يشعر أبداً بما يرتكبه في حق الآخرين لانه يعد بمثابة انتقام منهم لتعزيز الثقة بالنفس خرج الطبيب بوجه يملؤه الحزن سائلا عن أهل الطفل..

- ابني...ابني ماله؟!

- والله يا مدام ماعارف اقولك ايه بس الحالة ماتسرش ابدا.

- يعني ايه ..ياخرابي ياني ...لا والنبي ابوس رجلك يادكتور اعمل اي حاجة.

- هو في العناية دلوقتي وكمان ساعة هيدخل عمليات بس.

- بس ايه!!

- بس في حالته العملية مش مضمونة لان في احتمال كبير ان يكون في نزيف داخلي ولو فعلا كدة للأسف مش هنقدر نعمل حاجة كل حاجة هتبان دلوقتي وربنا يصبركم ادعوله.

- يا خرابي ياني ...يارب والنبي ماتخسرني فيه.

- حسبي الله ونعم الوكيل فيكي يا هالة كل اللي عملتيه ربنا هيعاقبنا في ابننا ربنا ينتقم منك ...يارب معنديش غيره وعاقبها هي ابني مالوش ذنب.

- اااااااه كفاية كفاية اللي انا فيه ربنا ياخدني قبل مااشوف فيه حاجة انا هموت هموت والله يارب مش حمل اشوف فيه حاجة.

- طول عمرك شماتة في الناس ده ذنب سوزان الغلبانة ...

- اااه ياقلبي اه ياني ...ابني لا يا رب عاقبني انا.

هل كان من اللازم أن تبتلى هالة في أعز مالديها حتى تستفيق من غفلتها وتزيل غمامة الغيرة والحقد من أمامها ، يالله أصعب الصعب حقا هو حدوث الأذى لفلذات أكبادنا وأن يكون هم نتيجة أخطائنا لكن الله يمهل ولا يهمل ولم تتعظ هالة أبدا بكل مافعلته في حياتها إلا في هذه اللحظة ، ماذنب هذا المسكين يتحمل نتيجة أخطائها وهو الآن بين الحياة والموت .يجب أن يعلم الناس أن نهاية ظلمهم وتعديهم على حقوق الآخرين ابتلاء في أعز عزيز فدعوة المظلوم مجابة ولا ينساها الله أبدا مهما مضى العمر .

كان الجميع في المشفى يقف في خوف وهلع ودموع لا تتوقف بينما ضل في المنزل حماتها وسارة وسوزان ووالدتها اللتان بقيا في شقتهما فلديهم من الهم مايكفي ألا ينتبها لكل مايحدث فلا زالت سوزان في غرفتها لم تتوقف دموعها لكل ماحدث وكأن ماضيها كان خطأ فادحا وحاضرها مرض غادر ومستقبلها مجهول لكنها تحاول جاهدة أن تستحضر بعض الأكل والحياه داخلها لأجل

صغيرتها التي توحي لها أنها ستكون أفضل وستفعل المستحيل لتعوض ابنتها عن كل ماحدث وستكون لها أبا وأما.

أما والدتها فقد نامت وهي تضم حفيدتها ودموعها لم تجف بعد على خديها على حال ابنتها التي لم تزل في العشرينات من عمرها وحدث لها كل ذلك كيف لها أن تكمل حياتها بكل مايحمله قلبها بل وجسدها المريض سوزان لا تستحق أبدا منذ ولدت وهي طيبة جميلة يحبها الجميع لكن هناك حكمة خفية لما حدث .

كانت حماة سوزان أيضا تبكي بشدة لفزعها على حفيدها المسكين وعلى سوزان ولاسيما على ولدها هشام فمهما حدث فهو ابنها الذي أنجبته وتعذبت في تربيته فرغم غضبها منه وعليه إلى أنها قلقة بشأنه فكما حل غضب الله على هالة لا بد وأن يحل عليه وما عاد قلبها يتحمل صدمات أكثر كانت تتصل من حين الى حين على زوجها لتطمئن على حفيدها الذي لازال الأطباء يجتمعون معه داخل العناية فيما ينتظر الأهل خارجا يراقبون الموقف في قلق.

كانت سارة هي الأخرى لا تدري ماذا تفعل وماذا يحدث مستغرقة في تفكير عميق عن كل ماحدث البارحة واليوم ..دق هاتفها وكانت والدتها...

- ايوه يا ماما.

- ايه يا سوسو ازيك يا عروسة عاملة ايه؟!

- مش كويسة أبدا.

- ليه كريم زعلك طبعا ..هو أصلا يطول يبقى معاه عروسة الهنا والسعد و...

- بس والنبي يا ماما ده انا من ساعة مادخلت البيت وناقص البيت يولع بينا ... ده شكلهم هيطردوني أساساً ده انا فقر عليهم.

- ايه اللي بتقوليه ده يا سارة ..!!

- والله يا ماما ما عارفة فيه ايه كل يوم مصيبة وكارثة ده أنا بقالي يومين ومافيش في البيت غير عياط وطلاق ومرض ومستشفيات "بدأت في البكاء".

- سارة ... انتي بتعيطي بجد..مافيش حاجة اسمها وشي وحش او فقر مافيش كدة والله اكيد كل حاجة بتحصل قضاء وقدر.

- ربنا يسترها يا ماما.

- طيب ايه اللي حصل؟!

بدأت سارة تسرد إلى والدتها ماحدث بالكامل صدمة تتبعها صدمات فحاولت أن تهدئ من روع ابنتها وتقوي ايمانها بالله وأنه لا يوجد شيء يسمى الوجه السيء على أهل الدار انما كل شيء يحدث بقضاء ولحكمة لا يعلمها سواه ونبهت عليها ألا تقول ذلك أمام زوجها حتى لا يرددها كثيرا بعد ذلك ثم استأذنت والدتها بعدما هدأت قليلاً أن تذهب لتطمئن على سوزان فبالتأكيد تحتاج الآن لأن تبث حزنها إلى أحدهم.

فعادة الأشخاص يفضلون بث أحزانهم إلى أصدقائهم المقربين أو الأشخاص المقربين بدلاً من أمهاتهم حتى لا يثقلنهم بالهموم والأحزان . دخلت سارة لسوزان التي كانت شاردة لدرجة أنها لم تنتبه لدخول سارة

- سوزان ...سوزان

- ايوه ..انتي دخلتي امتى؟!

- لسة حالاً .. انتي عاملة ايه؟!

- ابقى كدابة لو قلت تمام.

- ان شاء الله كل حاجة هتبقى خير وتمام .

- يارب يا سارة يارب عشان خاطر ماما وبابا زمانهم مقهورين عشاني انتي لو شوفتي اللي حصل امبارح والله ماحد يتخيله انا كان اهون عليا الموت ولا يحصل كدة ..هو فيه بني آدمين كدة!!

- الحمد لله ان ربنا خلصك منه زي ما بإذن الله هتخفي وتبقى كويسة عشان بنوتك.

- والله ما مصبرني غيرها على كل حاجة .. زي ماكنت بستحمل أذاه عشان خاطرها.

- رغم انه كان غلط انك تضحي بحياتك وكيانك عشان بنتك وتكوني متهانة قدامها بس الحمد لله هي لسة صغيرة وبإذن الله كل الوحش ده تعوضيها عنه بحاجات وذكريات كويسة.

- خايفة أموت يا سارة ..وتبقي بنتي من غير أب وأن...

- لا لا بعيد الشر ماتقوليش كدا هتبقي كويسة والله و...

- آسفة اني قاطعتكم بس هالة ومعاها واحد عايزين يدخلو ضروري "كانت والدة سوزان قد دخلت لتوها"

ثم دخلت هالة بحالتها الرثة جدا وعينيها المتورمتين وهي تسحب ذاك الرجل الذي كان مطأطئ الرأس وما أن رأته سوزان ...

- دكتور سليمان مطر !

- ..... "لم يرد وظل منكسا رأسه"

- هو حضرتك جاي هنا ليه ! ... عرفت عنواني ازاي ..انا مش فاكرة اني سبته عند السكرتير!!

- ...."خلع نظارته وتنهد"... انا اسف

- اسف ... اسف على ايه !؟... هو فيه ايه انا مش فاهمة أي حاجة

- .... "هبطت هالة على ركبيتها بحذو سرير سوزان ممسكة بيديها تبكي بشدة"... سامحيني والنبي ابوس ايدك سامحيني..

- اسامحك على ايه ... انتي تعرفي الدكتور منين أصلا؟!!!

- سليمان ابن خالتي.

- مش فاهمة حاجة ... انا مالي !؟

- يوم مارحتي عنده العيادة وطلب منك أشعة كلمني يومها بالليل وقالي انك روحتيله على أساس يطمن عليكي مني لو حصلك مضاعفات أو حاجة.

- هو يعرفني منين اصلا ... انتي بتقولي ايه يا هالة!!

- في خطوبة كريم وسارة كلنا اتصورنا صورة عائلية وأنا حطيتها عندي على الفيس ...فلما شافك عنده في العيادة افتكرك وعشان كدة كلمني ... وانا "بدأت في البكاء" انا اللي قولتله يقولك ان عندك المرض ده.

- ..."كانت قد فتحت فمها اثر الصدمة تكاد لا تصدق".. ازاي ... هو ايه ده ...

- انا اسف يا مدام سوزان والله آسف.

- اومال كل الاعراض اللي عندي دي كانت ايه!!

- ولا حاجة مجرد شوية برد بس كان دور شديد شوية فعشان كدة طول.

- وازاي تعمل فيا كدة ...

- ارحميني وسامحيني يا سوزان عشان خاطر ابني .. ابني بين الحياة والموت.

- انتي عيشتيني ميتة وخربتي بيتي وطول السنين دي كنتي بتعملي فيا اللي مايتعملش وآخرتها تخلي اللي ماعندوش ذمة ده يعمل كدة ... وانا اللي حمدت ربنا وقتها ان كشفك مش غالي عشان اعرف اكشف من ورا جوزي وفي الآخر تطلع معدوم الضمير.

استمرت سوزان في توبيخها وانهالت بالدعاء عليهم وان يذيقهم الله مرارة ماذاقت وما مرت به وواصلت هالة نحيبها وهو تطلب منها السماح لعل الله يرحمها ويرحم طفلها لكن حالة سوزان لم تكن لتسمح أبدا بأن تسامحها وطردتها شر طردة وبدأت في بكاء طويل بين كان الجميع في صدمة من تفكير هالة الشيطاني وما آلت اليه .

فحقيقة الأمر هو أن ابن خالتها الطبيب لم يوافق في البداية لكن قدمت له هالة حينها مالاً بعدما باعت سلسلة ذهب تمتلكها لأجل أن تضعف نفسه أمام المال خاصة أنها تعلم أنه يحب المال كثيراً ولتنتقم من سوزان وتجعل زوجها يطلقها ليتزوج بأختها ويخلو لهم البيت وبالها من شر فعلة لكن الله الذي لا تخفى عليه خافية أوقعها في شر أعمالها فحين دخل ابنها الى العمليات لم يكن امامها الا العودة لسوزان تطلب السماح لينجو طفلها وحين عادت الى المشفى كان طفلها قد تخطى الأزمة ولكنه موضوع تحت الملاحظة في العناية المركزة ريثما تستقر حالته ، لكن لم يسمح لها زوجها بالدخول اليه ...

- عايزة اشوف ابني.

-ا نتي تنسي ان ليكي ابن .. لو ابني كان جراله حاجة كنت هموتك ..والحمد لله ان ابني عدى اول مرحلة ويا عالم هيحصل ايه ..عشان انتي مركزة في حياة الناس وازاي تئذيهم.

- تبت والله تبت ... والله ماهعمل حاجة تاني.. ابوس ايدك سامحني.

- لا يا هالة لا ... انا استحملت منك كتير وانتي منتي بتتمادي ومفكرة عشان انا ساكت وبعدي اني ضعيف بس انا منت بعدي عشان ابني وعشان يبقى ليه ام .. بس انتي ماتستاهليش تكوني ام ولا تستأمني تربي طفل .. اصل هتربيه على ايه على الكره والغل والحقد.

- لا والنبي ماتحرمني منه ابوس ايدك هعيش خدامة تحت رجليكم.

- انتي طالق يا هالة... دوقي شوية كل اللي عمليته في الناس دوني شماتك في الناس ..وعشان تكوني عارفة لو فكرتي مجرد التفكير انك تقربي منه هقتلك سامعة .. فنصيحة يابنت الناس غوري من هنا وماشوفش وشك تاني ..

- لا لا والنبي لا ابني لا "كانت تبكي بشدة وهي تجلس على ركبتيها ممسكة بقدم زوجها" أبوس رجلك لا....

ذهب عنها ولم يعيرها أي اهتمام فما عاشه من القلق لهذه الساعات القليلة كافي بأن يقتلها لأنه يشعر أنها السبب فيما حدث لابنه فالله لا ينسى حق مظلوم .

تصرف عزت هكذا وهو لم يعلم بعد فعلتها المشينة مع سوزان فماذا لو علم .

هالة دخلة في نوبة بكاء وصراخ لكل ماحدث وما فعلته بيدها فهي المذنبة وهي المتسببة بكل هذا الخراب والعقاب وتعلم أنها تستحق كل ذلك يكفي ما

فعلته بسوزان المسكينة وماعاشته بسببها وهي تموت في كل يوم آلاف المرات في حين كانت هالة تستأنس بوجعها وتشعر بنجاح خطتها وتحمد الله أن سوزان ليس لديها مزيد من المال للذهاب لطبيب آخر وان من دواعي سرورها أن المصادفة جعلت سوزان تذهب لابن خالتها الطبيب فجاءت لها الفرصة للانتقام على طبق من ذهب فانتقمت منها شر انتقام لكن الله يمهل ولا يهمل ها هي هالة قد عم الخراب في حياتها وحرمت من ابنها الى الأبد .

أما هشام فحين خرج البارحة ذهب الى الحاج سليم الغريب الذي لطالما عرض عليه أن يشتري منه المخزن الخاص به بثمن عالي وكان هشام يرفض دائما لكنه قرر هذه المرة ان يبيع المخزن ويأخذ ثمنه وكل مايدخره ويذهب للعيش في محافظة أخرى يستقر بها ليبني حياة جديدة واتفق مع الحاج سليم أن يمضي العقود في الصباح وبقي لطوال الليل يخطط في حياته الجديدة وبخل على نفسه أن يستأجر غرفة في أحد الفنادق ، وفي الصباح ذهب للبنك أولاً ليسحب كل ماله من مال وذهب الى الحاج سليم وبالفعل وقع العقد معه وتسلم المال وذهب لمحطة القطار ومعه الحقيبة وبها كل ماله وقطع تذكرة إلى أسوان لعل يكون له حظا في التجارة للسياح والأجانب لكن الطريق طويل وعدم نومه البارحة جعله يذهب في نوم عميق وبجانبه حقيبته الموضوع بها كل ما ادخره في حياته وحين استيقظ لم يجدها سرقت منه بدأ يبحث كالمجنون في القطار وهو يصرخ وحين فقد الأمل وقع مغشياً عليه .

بدأت سوزان تعد حقائبها للارتحال من المنزل ومعها ابنتها مع محاولة حماتها ان تبقيها وان الشقة لها ولابنتها لكنها لم توافق أبدا ووعدت حماتها أن ترسل ابنتها دائما اليهم حتى لا تنسى عائلتها وستتواصل معهم دائما ورحلت وبداخلها الكثير من الأمنيات حيال مستقبلها والالتحاق بعمل بشهادتها الجامعية . وكان الأهل قد عادوا في المساء الى الدار بينما استقرت حالة الطفل قليلا لكن نصح الأطباء ببقائه لأسبوع آخر حتى لا يحدث أي خطر فبقي معه والده وعاد الباقين الى المنزل وقصت عليهم الحماة كل ماصار فعلموا حينها في قرارة أنفسهم أن هالة تستحق ماحدث لها وان هذا جزاءها ثم دق الهاتف حينها...

– الو

– ايوه .. منزل الاستاذ هشام السيد غالي.

– ايوى ..في حاجة ولا ايه؟!

– خير بإذن الله .. هو اللي حصل ان أستاذ هشام كان في قطر متجه لأسوان بس أغمى عليه في القطر واتعمله بعض الإسعافات لحد لما القطر يوصل وهو دلوقتي في مستشفى أسوان العامة .. جبنا بطاقته وحاولنا الوصول ليكم لأن تليفونه الظاهر اتسرق.

– لا حول ولا قوة الا بالله .. تمام تمام طيب هو عامل ايه؟!

– هو حالته تمام هي مجرد صدمة عصبية بس لازم يفضل هنا النهاردة لحد أما نطمن عليه

– تمام .. انا هحاول أشوف اقرب طيارة لأسوان وأكون عند حضرتك

– تمام يا فندم

أخبرهم كريم بشأن المكالمة التي رد عليها لتوه على هاتف المنزل وبأنه مضطر للذهاب إليه فما زال أخوهم ومهما كانت فعلته شنيعة فيجب عليهم الوقوف الى جانبه خاصة أنه في بلد غريب ويبدو أن حدث له مصيبة بشعة أدت لما هو فيه الآن .

بالطبع ذهب كريم لأخيه وعرف كل ماحدث كما أعلمه كريم بما حدث أيضا في المنزل ليشعر هشام بالندم الشديد ويعلم أن حق سوزان عاد اليها وأنه لطالما ظلمها وكل ماحدث له اليوم بسبب ظلمه إياها وتركها في عز احتياجها اليه ولم ينفق عليها مثل باقي الرجال ولم يكن ليتحمل علاجها فهرب بماله ليضيع كل ماله وتضيع زوجته هي الأخرى . بعد عودتهم قبل هشام يد والدته ورأس والده محاولا طلب السماح لكنهما كان غضبهما أكبر من أن يغفروا له زلاته لكن ماجعلهم يحنون عليه ويسامحونه هو ماحدث له وان الآن قد خسر كل شيء ويكفي ندمه وخساراته الفادحة، بعدها ذهب هشام لاستسماح زوجته ليعيدها لكنها أبت بشدة فما رأته منه ومن عشرته لا يسمح لها بالعودة مرة أخرى فيكفي أنه تركها وهي في أشد احتياجها لدعمه لكنه لم يرحمها حينها وزادها وجعا فوق الوجع لذا مادامت تبث فيها الروح فلن تعود اليه أبدا.

كان هشام يتمنى لو تقبض روحه ليتخلص من ألم الندم والصدمة والحسرة على كل مااقترفه بيده لكنه نال جزاؤه بعدل من الله وعليه البدء من جديد بقلب يخلو من الجشع والطمع . في هذه الأيام كانت حالة الطفل قد استقرت وبعد يومين سوف يسمح له بالخروج مع بعض التعليمات والملاحظات لكنه الحمد لله أصبح بصحة جيدة وذهب عنه الخطر .

أما عن كريم وسارة فأخيرا سيذهبان في الغد إلى رحلتهما لتكون بداية حياة ممتعة جميلة لا يشوبها أي أذى فتلك التجربة التي مرت عليهم علمت الكثير أن ينتبه جيدا لأفعاله وألا يأذي الناس ولو بالكره أو بالحقد وأن خير الأمور هو التعامل بسطحية مع الناس وألا يكون هناك تعمق في العلاقات وان بهذه الطريقة ستكون الحياة أفضل بكثير .